



SeekersGuidance

مباحث في علوم القرآن

الشيخ مناع القطان

08



تعريف السبب

بناء على ما سبق فإن سبب النزول يكون قاصراً على أمرين:

1- أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها، وذلك كالذي رُوي عن ابن عباس في نزول قول الله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} .

2- أن يُسألَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظهر منها زوجها أوس بن الصامت، فنزل قول الله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}.



فوائد معرفة سبب النزول

لمعرفة سبب النزول فوائد أهمها:

د- ومعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يُعرف سبب نزولها.

ج- إذا كان لفظ ما نزل عامًا وورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تُقصر التخصيص على ما عدا صورته، ولا يصح إخراجها، لأن دخول صورة السبب في اللفظ العام قطعي، فلا يجوز إخراجها بالاجتهاد لأنه ظني.

ب- تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

أ- بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.



العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

1- إذا اتفق ما نزل مع السبب في العموم -1

2- أو اتفق معه في الخصوص -2

حُمل العام على عمومته، والخاص على خصوصه كما
في الأمثلة:

مثال الأول: عن انس قال: "إن

اليهود كانوا إذا حاضت المرأة
منهم أخرجوها من البيت ولم
يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم
يجامعوها في البيوت، فسئل
رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
عن ذلك، فأنزل الله: {وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْمَحِيضِ} .. الآية، فقال
رسول الله، صلى الله عليه وسلم:
"جامعوهن في البيوت، واصنعوا

كل شيء إلا النكاح.

مثال الثاني: قوله تعالى:

{وَسَيَجْجِبُهَا الْأَتَقَى، الَّذِي يُؤْتِي
مَالَهُ يَتَزَكَّى..} نزلت الآية في
أبي بكر الصديق، والأتقى:
أفعل تفضيل مقرون: بـ "أل"
العهدية فيختص بمن نزل فيه؛
فالآية مقتصرة على من نزلت
فيه وهو أبو بكر الصديق.



الحكم إذا كان السبب خاصًا ونزلت الآية بصيغة العموم

إذا كان السبب خاصًا ونزلت الآية بصيغة العموم فقد اختلف الأصوليون: أتكون العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

ثانياً: ذهب جماعة إلى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فاللفظ العام دليل على صورة السبب الخاص، ولا بد من دليل آخر لغيره من الصور كالقياس ونحوه، حتى يبقى لنقل رواية السبب الخاص فائدة، ويتطابق السبب والمسبب تطابق السؤال والجواب.

أولاً: ذهب الجمهور إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها، كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته.



صيغة سبب النزول

صيغة سبب النزول إما أن تكون نصًا صريحًا في السببية، وإما أن تكون محتملة:

تكون الصيغة محتملة للسببية
ولما تضمنته الآية من الأحكام:

إذا قال الراوي: "نزلت هذه الآية في كذا" فذلك يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أنه داخل في معنى الآية.

وكذلك إذا قال: "أحسب هذه الآية نزلت في كذا" أو "ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا" فإن الراوي بهذه الصيغة لا يقطع بالسبب.

تكون نصًا صريحًا في
السببية:

إذا قال الراوي: "سبب نزول هذه الآية كذا"، أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كما إذا قال: "حدث كذا" أو "سُئِلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن كذا فنزلت الآية.



تعدد الروايات في سبب النزول

1

تتعدد الروايات في سبب نزول آية واحدة، وفي مثل هذه الحالة يكون موقف المفسر منها على النحو الآتي:

ب- إذا كانت إحدى الصيغ غير صريحة كقوله: "نزلت في كذا" وصرح آخر بذكر سبب مخالف فالمُعتمد ما هو نص في السببية، وتُحمل الأخرى على دخولها في أحكام الآية.

أ- إذا لم تكن الصيغ الواردة صريحة مثل: "نزلت هذه الآية في كذا" أو "أحسبها نزلت في كذا" فلا منافاة بينها، إذ المراد التفسير، وبيان أن ذلك داخل في الآية ومستفاد منها، وليس المراد ذكر سبب النزول، إلا إن قامت قرينة على واحدة بأن المراد بها السببية.



تعدد الروايات في سبب النزول

2

تتعدد الروايات في سبب نزول آية واحدة، وفي مثل هذه الحالة يكون موقف المفسر منها على النحو الآتي:

د- فإذا تساوت الروايات في الصحة ووجد وجه من وجوه الترجيح كحضور القصة مثلاً أو كون إحداها أصح قُدمت الرواية الراجحة.

ج- وإذا تعددت الروايات وكانت جميعها نصاً في السببية وكان إسناد أحدها صحيحاً دون غيره فالمُتعمد الرواية الصحيحة.



تعدد الروايات في سبب النزول

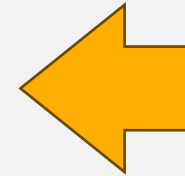
تتعدد الروايات في سبب نزول آية واحدة، وفي مثل هذه الحالة يكون موقف المفسر منها على النحو الآتي:

3

هـ- إذا تساوت الروايات في الترجيح جُمعَ بينها إن أمكن، فتكون الآية قد نزلت بعد السببين أو الأسباب لتقارب الزمن بينها، كآيات اللعان.

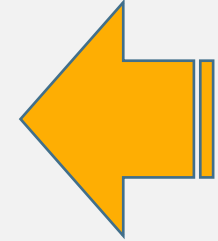
سبب النزول إذا تعدد: فإما أن يكون الجميع غير صريح، وإما أن يكون الجميع صريحًا، وإما أن يكون بعضه غير صريح وبعضه صريحًا.

الخلاصة:



تعدد النزول مع وحدة السبب

قد يتعدد ما ينزل
والسبب واحد،
فقد ينزل في
الواقعة الواحدة
آيات عديدة في
سور شتى،
ومثاله



عن أم سلمة قالت: "يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}

وعن أم سلمة قالت: "قلت: يا رسول الله، ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ فلم ير عني منه ذات يوم إلا نداؤه على المنبر وهو يقول: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}

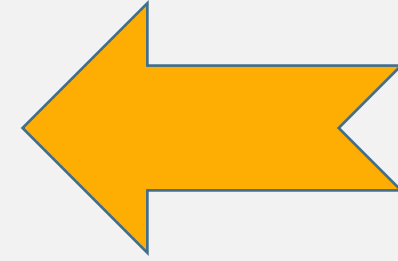
وعن أم سلمة أيضاً أنها قالت: تغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث؟ فأنزل الله: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَ}



تقدم نزول الآية على الحكم

قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} فالسورة
مكية، وظهر أثر الحل يوم فتح مكة، حتى قال عليه الصلاة
والسلام: "أحلت لي ساعة من نهار".
وكقوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}، قال عمر بن
الخطاب: كنت لا أدري: أي الجمع يُهزم؟ فلما كان يوم بدر
رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}.

قد يكون
النزول
سابقاً على
الحكم،
ومثاله



تعدد ما نزل في شخص واحد

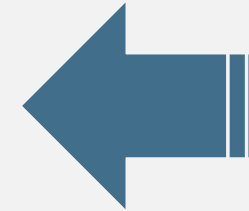
عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: "نزلت في أربع آيات من كتاب الله عز وجل: كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب، حتى أفارق محمدًا -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله تعالى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}

والثانية: أني كنت أخذت سيقًا فأعجبني فقلت: يا رسول الله. هب لي هذا .
السيف، فنزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ}

والثالثة: أني كنت مرضت فأتاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله. إني أريد أن أقسم مالي، أفأوصي بالنصف؟ فقال: لا، فقلت: الثالث، فسكت، فكان الثالث بعد جائزًا


والرابعة: أني شربت الخمر مع قوم من الأنصار، فضرب رجل منهم أنفي بلحي جمل، فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر.

قد يحدث لشخص واحد من الصحابة أكثر من واقعة، ويتنزل القرآن بشأن كل واقعة منها، فيتعدد ما نزل بشأنه بتعدد الوقائع، ومثاله




الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم

المرحلة التمهيدية من مراحل الدرس تحتاج إلى فطنة لماحة تعين المدرس على اجتذاب مشاعر الطلاب لدرسه بشتى الوسائل المناسبة.



ومعرفة أسباب النزول هي السبيل الأفضل لتحقيق تلك الأهداف التربوية في دراسة القرآن الكريم تلاوة وتفسيرًا.



إن سبب النزول إما أن يكون قصة لحادثة وقعت، وإما أن يكون سؤالاً طرح على رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فينزل القرآن إثر ذلك، فلن يجد المدرس نفسه في حاجة لمعالجة التمهيد للدرس بشيء يبتكره ويختاره، إذ إنه إذا ساق سبب النزول كانت قصته كافية في إثارة انتباه الطلاب، واجتذاب مشاعرهم، واستجماع قواهم العقلية، وتهيئة نفوسهم لتقبل الدرس.



المناسبات بين الآيات والسور

كما أن معرفة سبب النزول لها أثرها في فهم المعنى وتفسير الآية، فإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم، ولذا أفرد بعض العلماء هذا المبحث بالتصنيف.

تعريف
المناسبة:

المناسبة في اللغة: المقاربة، يقال فلان يناسب فلانًا أي يقرب منه ويشاكله.

المناسبة في
علوم القرآن:

المراد بالمناسبة هنا: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة.

فائدة معرفة
المناسبة:

ولمعرفة المناسبة فائدتها في إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه {كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ

حَكِيمٍ خَبِيرٍ}



عناية المفسرين ببيان المناسبة بين الجمل أو بين الآيات أو بين السور

استنبط العلماء وجوه ارتباط
دقيقة فالجملة قد تكون:

أو اعتراضًا تذييليًا.

أو تفسيرًا.

أوبيانًا.

تأكيدًا لما قبلها.

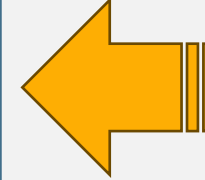


المناسبة بين السورة والسورة

افتتاح سورة "الأنعام" بالحمد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}، فإنه مناسب لختام سورة "المائدة" في الفصل بين العباد
ومجازاتهم: {إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}..
إلى آخر السورة، كما قال سبحانه: {وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ}

وكافتتاح سورة "الحديد" بالتسبيح: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، فإنه مناسب لختام سورة "الواقعة" من الأمر به: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الْعَظِيمِ}

قد تكون
المناسبة بين
السورة
والسورة
مثل:



المناسبة بين فواتح السور وخواتمها

ما في سورة "القصص" فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام، وبيان
مبدأ أمره ونصره، ثم ما كان منه عندما وجد رجلين يقتتلان
وحكى الله دعاءه: **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا
لِلْمُجْرِمِينَ}**، ثم ختم الله السورة بتسليية رسولنا -صلى الله عليه وسلم-
بخروجه من مكة والوعد بعودته إليها، ونهيه عن أن يكون ظهيرًا
للكافرين: **{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ
مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ
الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ}**

وقد تكون المناسبة
بين فواتح السور
وخواتمها.. ومن
ذلك:

